



تجارة الرقيق في الجنوب الجزائري خلال القرن 19م

The slave trade in southern Algeria during the 19th century AD

بن قايد عمر

Bengaid amar

جامعة غرداية (الجزائر)

amar_gh14@yahoo.com

المرسل: Bengaid amar

النشر: 2024/01/05

القبول: 2023/10/09

الإرسال: 2023/05/01

الملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى التعريف بتاريخ تجارة الرقيق في الجنوب الجزائري خلال القرن 19م، وذلك وفق ما كتبه بعض الغربيين ممن زاروا هذه المنطقة، وتبيان ظاهرة العبودية ودورها في الحياة الاجتماعية بالمنطقة، هذه الفئة التي استعبدت وظلت مهمة لقرون طويلة لصالح الفئات المتنقذة في المجتمع. وتسعى هذه الدراسة إلى إبراز أحوال فئة الرقيق التي تواجدت بالجنوب الجزائري، خلال القرن التاسع عشر، وهي محاولة لإظهار أصولها وطريقة استعبادها ووظائفها الاجتماعية والاقتصادية، وانتشارها في ربوع الصحراء بواسطة قوافل التجارة العابرة للصحراء

الكلمات الدالة : الرقيق، القوافل التجارية، الجنوب الجزائري، القرن 19م .

Abstract

This research paper aims to introduce the history of the slave trade in southern Algeria during the 19th century AD, according to what was written by some Westerners who visited this region, and to show the phenomenon of slavery and its role in the social life of the region.

This study seeks to highlight the conditions of the slave class that existed in southern Algeria, during the nineteenth century, and it is an attempt to show its origins, the method of enslavement, its social and economic functions, and its spread throughout the Sahara by cross-Saharan trade convoys. Slave, trade caravans, southern Algeria - 19th century.

Keywords. Slave, Trade caravane, Southern Algeria; 19th century

مقدمة:

تُعد ظاهرة العبودية ظاهرة قديمة قدم الحضارات الإنسانية، وهي نزعة قائمة على الإستغلال والإستبداد للإنسان، ولا يخلو تاريخ الجزائر الحديث من انتشار ظاهرة العبودية في شتى مظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية. وسأحاول في هذه الدراسة التطرق لظاهرة تجارة الرقيق⁽¹⁾ في الجنوب الجزائري في القرن 13هـ/19م، ودور هذه الفئة في الأنشطة الاقتصادية بالقصور والبوادي الصحراوية.

إن الحديث عن تاريخ العبودية خلال الفترة الحديثة يثير الكثير من القضايا والتساؤلات الجوهرية التي تهم هذه الفئات المهمشة، وقد ارتبط العبيد بالتجارة العابرة للصحراء، وتأتي دراسة ظاهرة العبيد ضمن التاريخ الاجتماعي الذي يدرس فئات المجتمع ونشاطها وأدوارها وحركيتها وتوزيعها وإبراز الظاهرة الاجتماعية في محيطها، وفي علاقتها بمكونات المجتمع في إطار تاريخي محدد⁽²⁾.

فما هي مظاهر تجارة العبيد في الجنوب الجزائري خلال القرن 19 م ؟ وماهي أهم وظائفها لهذه الشريحة الاجتماعية؟ وكيف انتهت تجارة الرقيق بالجنوب الجزائري؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة، تأتي هذه المحاولة لكشف بعض الجوانب عن تجارة الرقيق في الجنوب الجزائري ، في محاولة لإبراز انعكاسات تلك التجارة على الحياة الاقتصادية والاجتماعية لسكان تلك المناطق، معتمدين في ذلك على قراءة بعض النصوص التاريخية، مما جادت به علينا بعض كتابات الغربيين، وخاصة منهم الفرنسيين، وبعض ما كتبه المؤرخون الجزائريون.

وعلى هذا الأساس جاء تصميم هذه الورقة البحثية ، وفق المحاور الآتية:

1-الأوضاع الاجتماعية للرقيق

2-قوافل الرقيق

3- صورة الرقيق في القرن 19م (الوضع الاجتماعي)

4- مراسيم الغاء العبودية وانعكاساتها.

5-خاتمة وفيها سجلنا الملاحظات والاستنتاجات.

. الأوضاع الاجتماعية للرقيق

لابد للباحث من التنبيه إلى تلك الحقبة الزمنية التي تبين تاريخ ومكانة العبيد كفئة اجتماعية في التركيبة السكانية في الجزائر وفي جنوبها الشاسع، فقد كانت تجارة العبيد تضم إلى المجتمع آلاف منهم - وهم من الدرجة الدنيا في التراتبية الاجتماعية- وتجدر الإشارة أن المجتمعات الإنسانية، لم تكن العبودية فيها لصيقة بلون البشرية، بل كان هناك رقيق أبيض، وقد استمرت شعوب شمال إفريقيا في جلب الكثير من الرقيق من أوروبا، ولا

ننفي أن الإنسان ذى البشرة السوداء كان أكثر عرضة للرق ووضع العبودية والنخاسة، وفي دراستي ركزت على العبيد السود (Esclaves Noires) المجلوبين مما كان يعرف ببلاد السودان. وتشير الدراسات إلى الوضعية القاسية التي كان العبيد يلاقونها ضمن قوافل التجارة القادمة من إفريقيا جنوب الصحراء، مروراً إلى شمالها، حيث يقطع العبيد مسافة تبلغ حوالي ثلاثة آلاف كيلو متر (3000) سيراً على الأقدام، في ظروف قاسية، وكانوا يخضعون لعملية إختيار منذ الحصول عليهم في البداية ⁽³⁾.

2. قوافل الرقيق :

منذ بداية الصلات التجارية عبر قوافل التجارة العابرة للصحراء بين الجزائر وبلاد السودان الغربي في العصر الوسيط، كان العبيد من ضمن "السلع" التي تجلبها القوافل في مجتمع كانت فيه العبودية مؤسسة اجتماعية قائمة بذاتها.

ويعود إزدهار تجارة القوافل التجارية إلى دور الطرق التجارية العابرة للصحراء ⁽⁴⁾، حيث كانت الصحراء الجزائرية معبراً هاماً للكثير من السلع والتجارة العابرة لإفريقيا جنوب الصحراء، وأدت هذه المناطق دور الوساطة التجارية بين السودان الغربي عبر الصحراء وأسواق الشمال الجزائري، وتونس وطرابلس وكذا المغرب الأقصى، وعرفت هذه العلاقات تطوراً هاماً خلال الفترة الحديثة، حيث تميزت تجارة العبيد بدور مهم في هذه التجارة، بالإضافة إلى تجارة الذهب، واستمرت تجارة الرقيق في الجزائر من دون انقطاع بين ضفتي الصحراء.

لقد بدأت الصلات بين الجزائر والسودان الغربي منذ القرن 12 م، عندما بدأ الإسلام ينتشر في صفوف الأفارقة، لكن التحول الحقيقي لهذه العلاقات لم يتم إلا في القرن 16 م، ولم تتوقف القوافل عن قطع الصحراء الكبرى لربط الجزائر بهذا الجزء من إفريقيا عبر خطوط تجارية تمر في الصحراء الكبرى ⁽⁵⁾.

وكانت القوافل الآتية من مدينة تومبكتو تعبر مناطق توات وعين صالح لتتفرق إلى أنحاء مناطق الصحراء الجزائرية الأخرى، كانت أكثر المواد المصدرة من تمبكتو العبيد والعاج، والذهب والصمغ، وريش النعام، وجلود البقر الوحش، وهي سلع كانت موجهة للسوق الجزائرية الداخلية أو للتجارة الخارجية ⁽⁶⁾.

وهكذا أصبحت فئة العبيد إحدى مكونات المجتمع الجزائري منذ هذه الفترة، واستطاعت تحقيق الاندماج في المجتمع الصحراوي الجزائري، في القصور والزوايا، وعند القبائل البدوية، وعملت هذه الفئة في الحقول والأعمال اليدوية، والحرفية، وكانت الفئات الغنية من المجتمع الصحراوي هي الأوفر حظاً لشراء العبيد، ولذلك لإستطاعتها المادية، وتعكس وظائف فئات العبيد مظهراً من مظاهر التركيبة الاجتماعية داخل القصر، فهم في أدنى السلم التراتبي الاجتماعي، ويشغلون في الأعمال الشاقة، ومكلفون بحفر الآبار أو الإعتناء بالفقارات. وكانوا يكلفون بشؤون النظافة وإعداد الطعام ⁽⁷⁾، أو مزاولة مهنة الحدادة وجني الثمار وحرث الأرض والحصاد، وأعمال البناء ⁽⁸⁾.

وهو ما يعكس الأسماء والتصنيفات الخاصة بالعبيد، حيث تختلف أسماء العبيد عن بقية الفئات الاجتماعية الأخرى، وغالبا ما يكون لهذه الفئة أسماء ذات أصول زنجية، حيث نجد أسماء الذكور، مثل: مرزوق، بلال، سالم، بركة، عاشور، والإناث، مثل: ميمونة، محجوبة، مباركة، مسعودة، جمعة..... إلخ.

وكانت تجارة الرقيق رائجة قبل توغل الإحتلال الفرنسي في الجنوب الجزائري⁽⁹⁾. ويؤكد درفيريه أن غالبية أعداد العبيد السود التي تأتي بها التجار إلى منطقة الشبكة وقصور مزاب ومتليلي، كانت تأتي من منطقة تيدكلت أو عين صالح⁽¹⁰⁾ مروراً بقصر المنيع⁽¹¹⁾.

أما دوماس فيحدثنا عن تاجر شعاني من تجار النخاسة، من متليلي يسمى سيد الحاج محمد كان كثير التردد على مناطق الهوسا⁽¹²⁾، والتي تبتعد أكثر من ألفين وخمسمائة 2500 كلم عن متليلي، حيث كان يجلب منها العبيد، ويصفه دوماس بأنه كان مغامرا وشجاعا وذكيا، وقد وصل بتجارته آخر مرة في أواخر أربعينات القرن التاسع عشر 19م، ووصل حتى منطقة زنذر وجلب منها خمسة آلاف (5000) عبدا ولكي يتجنب التوارق الذين كانوا يترصدونه في الطريق، فقد فضل التوجه إلى مدينة فزان حتى وصل طرابلس أين باع هؤلاء العبيد⁽¹³⁾.

1- صورة العبيد في القرن التاسع عشر 19م (الوضع الاجتماعي):

قدّر عدد العبيد في الجنوب الجزائري في سنة 1847م، بحوالي عشرة آلاف (10000) عبد من الزنوج الأفارقة، وذلك حسب وثيقة أرشيفية فرنسية⁽¹⁴⁾ وتذكرنا المؤلفات العائدة للقرن التاسع عشر 19م، وما قبله بجملة من التسميات المتعلقة بالعبيد، ولئن اختلفت بعض التسميات عما في باقي الجزائر والصحراء الكبرى، فإنها لا تخرج عن نفس إطار التسمية، وهو إطار قائم على دراسة الواقع المعاش للعبيد (عبيد، وصفان، خدم، سودان)، ولقد دلّت هذه التسميات عن وجود فوارق كبيرة ميّزت هذه المجموعة الإثنية عن الجماعات الأخرى، وجعلتها تتموضع في قاعدة الهرم الاجتماعي والطبقي، وهي من جهة أخرى، نتيجة لذلك الوضع أصبحت تمثل أقلية سكانية، وكانت وضعية العبيد لا تختلف عن أي بضاعة تخضع للعرض والطلب، أو كأى ملك خصوصي ينتقل بالإرث من الأب إلى الأبناء⁽¹⁵⁾.

وكانت ملكية العبيد مطلوبة، سواء من الرجل أو المقيمين في القصور، إذ كلا الطرفين في حاجة إلى سواعد تستخدم لرعي الماشية وللأعمال الزراعية والبناء، لكن امتلاك العبيد ليس في وسع الجميع، بل هو امتياز للأسر الكبيرة الغنية القادرة على تشغيل العبيد وإطعامهم، لما يرمز إليه هذا الإمتلاك من وسيلة للمباهاة ومظهر من مظاهر النعمة والرفعة الاجتماعية تزيد من الرصيد المادي للمالك، سواء كان في القصر أو البادية.

لقد اندمج العبيد المحررون بأجيالهم المتعاقبة في المجتمع المحلي، بحيث أصبحوا يمثلون جزءاً لا يتجزأ من تركيبته السكانية، وإن أهم إنعكاسات وجود الزنوج في الجنوب الجزائري، ما كان متعلقاً بعملية البعد الثقافي وهو أمر ملحوظ حتى اليوم.

لقد أوجدت هذه الظاهرة دورا في نقل بعض العناصر الثقافية الإفريقية إلى المنطقة، وكثيرا ما نجد الملامح في الثقافة الشعبية، سواء في الموسيقى أو اللباس أو في القيم الفنية، أما على المستوى الاجتماعي، فيعتبر الزواج المختلط أهم مظاهر التداخل والإندماج الإثني والاجتماعي، فتداخل الأجناس، ثم العادات والتقاليد، ولم يكن الزواج المختلط بالأمر المستجد بالنسبة للأسر الغنية على الأقل، حيث أنهم ضموا إليهم الكثير من الزنوج، وتزوجو منهم، وقد وصل بعض الزنوج في بعض المناطق بالجنوب الجزائري إلى منزلة الولي كسيدي بلال في بعض النواحي وسيدي فلاح في نواحي أخرى، ففي قصر متليلي تتداول الرواية الشفهية وجود قبة سيدي فلاح بن بركة⁽¹⁶⁾.

3.1. الأصول السكانية:

لا يعرف الكثير عن الأصول الجغرافية والاجتماعية للعبيد الذين كانوا يجلبون من إفريقيا جنوب الصحراء، حيث كان العبيد يكونون بضاعة أساسية في التجارة مع إفريقيا جنوب الصحراء، ويقدر موني (Mauny) أن عدد المجلوبين من الرقيق الأسود إلى بلاد المغرب بعشرين ألف عبد سنويا، يجتازون الصحراء في القوافل سيرا، لكي يباعوا في الأسواق المغربية، وخاصة في الجزائر⁽¹⁷⁾، وترجع الأصول السكانية لغالبية الرقيق من إفريقيا جنوب الصحراء، من شرقها إلى غربها، فقد اشتقت كلمة زنج من كلمة زنجبار⁽¹⁸⁾.

وبالنسبة لمنطقة الجنوب الجزائري، فإن الغالبية العظمى من السود الوافدين ترجع أصولهم إلى المناطق المجاورة للصحراء الكبرى، وتدل عليهم أصولهم، مثل الورتلي والبرناوي والببيرو والتنبكتي وغيرها⁽¹⁹⁾.

ويجلب هؤلاء العبيد الزنوج من أسواق تمبكتو وغيرها من أسواق بلاد السودان الغربي، وكان بعض التجار ممن يتعاطون هذه التجارة يسافرون من أجلها إلى الأسواق الإفريقية، ثم يعيدون بيعهم كأى بضاعة تجني منها الأرباح⁽²⁰⁾.

3.2. أعداد العبيد وتوزيعهم وحجمهم في التركيبة السكانية الصحراوية:

توجد سوق العبيد في مناطق جاو، وتمبكتو وغيرها من مناطق بلاد السودان الغربي، ويصعب على الباحث ضبط احصاءات دقيقة لعدد العبيد في الصحراء الجزائرية خلال القرن 19 م، ذلك أن التعدادات كانت جزئية، فضلا عن الأخطاء التي تحف بها بسبب طبيعة البحث الديمغرافي ذاته، وبسبب صعوبة حصر السكان وإخضاعهم للدراسة الإحصائية⁽²¹⁾.

واستنادًا إلى الدراسات الغربية، وخاصة الفرنسية، عرفت المنطقة تزايدًا هامًا لتجارة العبيد في هذا القرن، وكان تواجدهم في أغلب القصور عند القبائل الصحراوية. وأما عن توزيع هذه الأقلية في الجنوب الجزائري، فإن المصادر تدلنا أن وجود العبيد كان منتشرًا في كل ربوع هذه المناطق بشكل كبير أو صغير، حيث كانت تلك القصور والقبائل تمتلك المئات⁽²²⁾.

وقد ذكر المؤرخ ناصر الدين سعيدوني أن صالح رايس عند حملته على تقرت وورقلة سنة 1552م، فرض ضمن الضريبة ثلاثين 30 عبدا، وفي الثانية عند حملة يوسف باشا سنة 1649م، فقد فرض ضمن ضريبته أن يقدموا 45 من رقيق السودان، مقسمة بين تقرت (ستة عشر 16 عبدا)، وورقلة (خمس وعشرون 25 عبدا) وتماسين (أربعة 04 عبيد) (23)، وكانت مدينة تقرت تستقبل حوالي 500 فردا من العبيد سنويا (24). وكان يقدر ثمن الواحد منهم من 150 إلى 250 فرنك، وعندما ينقلون إلى الأسواق التالية يصل ثمن الواحد منهم إلى 400 أو 500 فرنك (25).

وهذا ما يبين أن هذه المناطق كانت تركز بعدد كبير من العبيد، يصل في بعض الأحيان إلى ألف عبدا في القصر الواحد، وكانت طبقة العبيد هي الطبقة الدنيا في كل هذه المجتمعات، فقد ذكر المستكشف الفرنسي في الصحراء أ. كوين (A.Coyne) أنه في سنة 1848م، إنطلقت قافلة من مزاب تحمل ضمنها، 68 من العبيد متجهة إلى مدينة المدية، حيث تم بيعهم في هذه المدينة، وبعد شهر من ذهاب هذه القافلة جاءت قافلة أخرى من منطقة مزاب متجهة هذه المرة نحو الجزائر، وكانت تحمل العشرات من العبيد، سلموا إلى أمين بني مزاب أو إلى قائد الوصفان (26).

وكانت القصور التواتية تشكّل أهم المعابر والمحطات في الجنوب الغربي والأوسط بالجزائر (27). وكان العديد من العبيد المجلوبين من بلاد السودان أحرارا مسلمين أسروا في حروب بين القبائل والإثنيات أو اختطفوا من قراهم، كي يباعوا رقيقا وهم ليسوا كذلك في الأصل، لذلك ظلوا يطالبون بحريتهم من دون جدوى، وأثارت هذه المسألة جدلا كبيرا في منطقة بلاد المغارب، واستفتي فيها الفقيه أحمد بابا التنبكي (1556-1627م) الذي ألف فيهل نصا شهيرا في الأدبيات الفقهية يدخل ضمن نوازل الإسترقاق هو "معراج الصعود إلى نيل مجلوب السودان" الذي عرف ضمن أجوبة أخرى (28).

3.3. عادات وتقاليد العبيد:

إن المكانة الاجتماعية السفلى التي عرفتها فئة الرقيق في المجتمعات الصحراوية بالجنوب الجزائري، انعكست على حالتها الثقافية والاجتماعية، حيث أنه لم يكن لهم فرص للتعليم، وحتى التعليم الديني كان مقتصرًا فقط على عبيد الفئات الراقية في المجتمع، وهكذا حافظت هذه الفئة المهمشة ببعض خصائصها الثقافية ذات الأصول الإفريقية، مثل التقاليد والفنون بل أنهم حافظوا على بعض الكلمات الإفريقية، كما بقيت الأيقاعات الفلكلورية عبر الأجيال، مثل القرقابو والدندون، وغيرها من الإيقاعات الإفريقية، حيث بقيت هذه الرقصة متوارثة بين الأجيال أب عن جد (29).

3.4. أسعار الرقيق وعمليات البيع :

تحتاج هذه العملية إلى القوافل التجارية ورأس مال لدفع نفقات تسيير القوافل عبر الصحراء، وما يلزمها من مرافقين ومؤجري الجمال والأدلاء والحراس والتجار ودلالة وسماسرة وتمرس ومحطات وأسواق للعرض والبيع، وذلك لإيواء العبيد المجلوبين والإشراف على عليهم حتى يصلوا سالمين إلى المحطة الأخيرة لهم، كانت كلفتهم من المال والتغذية، فقد كان يعطى لهم في الطريق قليلا من الطعام، ولذلك كانت كلفتهم غالية حتى تصل إلى محطاتهم التي يباعوا فيها، وتظهر كذلك فيهم المسألة المكانية الاجتماعية للعبيد، والمهانة التي كانت تلتحق بهم باعتبارهم بشر، وهي مهانة يلحقها الإنسان (القوي) بالإنسان (الضعيف). فتقاس قيمته بشئ مادي هو (السعر).

يخضع سوق العبيد للتنظيم المعروف في أسواق السلع الأخرى، ويشرف عليها أمناء يمثلون حرفة النخاسة وعدول شرعيون للتوثيق ودلالون⁽³⁰⁾.

ولم تكن الأسواق العمومية بالمزاد العلني إلا إحدى طرائق بيع العبيد، لأن فئة من الرقيق تعرض للبيع في بيوتات خاصة بعيدا عن الأنظار، فالرقيق الذين يملكون مميزات خاصة من الإماء، كأن تكون ذات جمال أو لها مهارة في الطبخ والموسيقى والغناء، حيث لا تعرض النساء الشابات، في الأسواق إلا نادرا لأنهن يبعن خارج السوق العلنية⁽³¹⁾، أو كأن يكونوا رجالا مخصيين، لم يكونوا يعرضون في السوق، لأن الطلب عليهم كان من فئة الخاصة، ويلجأ المشترون إلى تجار وسطاء يعملون على توفير "سلع" لهم بحسب الطلب⁽³²⁾، وقد أكد لي شخصا أن شاهد عيان موثوق به، قد روى عن أبيه كيف كان تجرى بيع العبيد في سوق غرداية ومثلي في أواخر القرن 19 م.

وقد وصف لنا رحالة فرنسي في المغرب عن كيفية بيع العبيد، وهي نفس طريقة البيع في كامل الأسواق المغربية، حيث يقول: "... الساحة نفسها تستعمل في الأيام والساعات الأخرى لبيع مختلف السلع، وبالأخص الصوف... حيث يشرع الدلالون في العمل ومباشرة المزايدة، كل واحد منهم يقود ثلاث إماء، واحدة في المقدمة تقود الأخريات اللواتي يتبعنهم من الخلف، هكذا كانوا يطوفون من دون توقف في ساحة السوق، عارضين بضائعهم، باحثين عن زبائن، يصرخون بأعلى صوت في بالثمن المطلوب أو المقترح بالنسبة لكل عبد، حيث كان الزبون يتفحص البضاعة من أخصص قدمها إلى رأسها، ويعاين فمها وأسنانها وعينها وأنفها، ويسأل عن سننها وعن كل التفاصيل التي يراها ضرورية، وبعد ذلك يقوم بالمزايدة أو يتركها، وأغلب النساء المعروضين للبيع نساء في مقتبل العمر، كلهن زنجيات وفتيان ورجال بالغون..."⁽³³⁾.

فأسعار العبيد كانت بحسب أصولهم، فمنهم من كان يباع بثمن بخس جدا، ومنهم من كان يباع بثمن مرتفع، ففي الأسواق الشمالية، كان الأبيض يفوق الأسود في سعره. وكان ثمن العبد الواحد في أسواق الواحات الجنوبية للجزائر خلال القرن التاسع عشر، ما بين مائة وخمسين إلى مائتين وخمسين فرنك، أما الفتيات فتصل أثمانهن إلى أربع مائة فرنك، ويترواح سعر العبد في الأسواق الإفريقية ما بين مائة وخمسين ومائتي فرنك، وبمجرد أن تصل إلى الواحات الجزائرية يقفز الثمن إلى ما بين أربع مائة وخمسمائة فرنك⁽³⁴⁾.

وتحدّد كذلك بواسطة الجنس والعمر والطبقة التي يلتحقوا بها والوظائف التي يؤدّونها، وكان بعض العبيد يباعون بثمان سلعة في السوق، وكان ثمن الذكر أكثر من ثمن الأنثى في كثير من الأحيان، وكان بيع العبيد يتم في الأسواق العامة للقصور الصحراوية، مثل سوق غرداية، وسوق ورقلة وتقرت، وفي أسواق توات وعين صالح⁽³⁵⁾

وتتوزع العبيد حسب دورهم في العمل، حيث برز دور النسوة في الأعمال المنزلية في نطاق (الحريم) فالخادمة (الوصيفة) تشرف على جميع مراحل زواج فتيات العائلة، وهي التي ترضع أطفالهم، وكان بعضهم يعمل في الزراعة والبناء، والفخار بالإضافة إلى بعض الأعمال التطبيب ذات الأصل الإفريقي، وكونوا عائلات ولكنهم بقوا مملوكين لأسيادهم حتى تم تحريرهم⁽³⁶⁾.

وقد ذكر شارل أمات (Charles Amat) أنه إذا بيعت إمراة في إطار العبودية، وحين تكون حامل فإن المولود يبقى ملك لسيدها، ويبقى هكذا حتى تنقضي مدة ستة أشهر⁽³⁷⁾، وقد ذكر أن كل عبيد منطقة الشبكة تأتي من منطقة السودان الغربي، حيث ذكر أنه لاحظ 17 من هؤلاء العبيد من الذكور، ولدو في مناطق تومبكتو وبورنيو وسكوتو، لهم أعمار من 20 سنة إلى 32 سنة، تركو السودان من 06 إلى 24 سنة، كلهم موشمين في جباههم أو في وجوههم⁽³⁸⁾.

ويذكر هيناي ديفري (Heney Devery) أنه من بين السلع التي تجلب من منطقة توات مرورا بعين صالح ثم المنية إلى متليي ثم إلى غرداية، وهكذا نجد العبيد الذين يصلون في آخر منطقة لهم قبل بيعهم في سوق غرداية إلى ضواحي بن يزقن⁽³⁹⁾.

وقد أشار إلى أثمان هؤلاء العبيد في سوق غرداية، فالشابات تم بيعهم ما بين 350 إلى 400 فرنك، وتصل قيمتهم أحيانا إلى 600 فرنك، وبيع بعض العبيد من 225 إلى 250 فرنك، وقد يصل الثمن في بعض الأحيان إلى 300 فرنك، وبالنسبة لبعض الشباب الذكور فقد بيعوا بأثمان من 250 إلى 400 فرنك، وبالنسبة لرجل قد تصل قيمته من 250 إلى 300 فرنك، وقد شاهد في قصر متليي بيع شابة زنجية بـ 350 فرنك⁽⁴⁰⁾.

وقد استعملت فئة العبيد كضريبة تدفع للغزاة وأصحاب الحملات والمحلات العسكرية، فكان الباي محمد الكبير باي وهران، قد فرض على أهل الأغواط في حملته عليهم مائة خادم، وخمسة آلاف ريال، ومائتين وخمسين بعيرا، وأربعة أفراس ومائتي ثوب، مقابل الأمان⁽⁴¹⁾.

ومع نهاية القرن التاسع عشر تقلّص عدد العبيد الذين كانوا يعيشون في المنطقة إلى بعض المئات فقط، بسبب تراجع تجارة العبيد عبر الصحراء من غرب إفريقيا⁽⁴²⁾، ويملك البدو الرحل أعظمهم، ويشغلونهم كخدم أو كرهاة، وعادة ما يندمج العبيد في العائلات التي يخدمونها وأحيانا تربطهم علاقة شخصية قوية مع أسيادهم⁽⁴³⁾.

4. قوانين إلغاء تجارة الرق وتطبيقاته:

عرف القرن التاسع عشر، حدثا مهما كان له وقع كبير على تجارة الرقيق التي دامت قرونا بين بلاد المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء، وقد تجلّى ذلك في إصدار قوانين تمنع تجارة الرقيق دوليا. وكانت الدنمارك من أوائل من منع تجارة الرقيق سنة 1802 م تلتها الولايات المتحدة سنة 1807 م، ثم الأيالة التونسية سنة 1882 م، حيث أن جلّ الدول الأوروبية منعت تجارة العبيد مع بداية القرن 19 م، ولكن لم تلغ العبودية إلا عقودا بعد ذلك⁽⁴⁴⁾، ثم الإعلان العالمي لإلغاء العبودية في لندن سنة 1847 م، ولكن لم تلغ العبودية إلا عقودا بعد ذلك، بعد صدور المرسوم المؤرخ في 1848 م، من طرف الإستعمار الفرنسي في الجزائر، والذي منع تجارة العبيد وبيعهم، بقيت هذه التجارة مستمرة في كل أنحاء الجنوب الجزائري، حيث أن فرنسا منعت تجارة الرقيق، لكنها لم تمنع العبودية، التي ظلت بعيدة عن الرقابة⁽⁴⁵⁾.

وذكر الباحث ياسين دادي عدون أن هذه التجارة بقيت حتى بداية القرن العشرين، بعيدا عن رقابة الفرنسيين⁽⁴⁶⁾.

لقد تم إلغاء مؤسسة الرق في الأراضي الجزائرية المستعمرة كلها سنة 1848 م، ولكن التجارة الصحراوية بقيت مستمرة، واستمر تدفق عدد من العبيد، حتى تم إحتلال الفرنسيين لتمبكتو سنة 1894 م، والتي وضعت حدا لتجارة العبيد، حيث من المؤكد أنه كان عدد قليلا من العبيد يصل إلى المناطق الصحاوية بعد سنة 1900 م⁽⁴⁷⁾.

وعلى الرغم من التشجيع والتسهيلات التي قدّمتها الحكومة الإستعمارية الفرنسية للتجار الجزائريين في الجنوب لإعادة إحياء التبادل التجاري مع بلاد السودان، فإن هذه التجارة لم تعد إلى سابق نشاطها بسبب منع تجارة العبيد⁽⁴⁸⁾.

5. خاتمة:

ومما تقدم، يمكن القول:

- أصبحت منطقة الجنوب الجزائري كغيرها من مناطق الجزائر والمغرب الكبير، مصدرا هاما لتجارة الرقيق، لما لها من مسالك وأسواق وقوافل، ولعلاقتها وقربها من السودان الغربي، وشكّلت همزة وصل بين بلاد المغرب وبلاد السودان.

- ظلت فئة الرقيق فاعلا حقيقيا في مجتمع الجنوب الجزائري، قبل وبعد تحريرهم، حيث بقيت هذه التجارة مستمرة حتى بداية القرن 20 م. ولقد شكّلت هذه فئة حضورا مكثفا داخل واحات الجنوب الجزائري، إذ لا توجد واحة أو قصر تغيب عنها هذه الفئة، كما سجّل البعض في هذه الفئة إرتقاء مادي وثقافي، فكان من بينهم الطلبة والفقهاء والمؤذنين، ومدرسين بالمساجد، حيث بقيت هذه الفئة محصورة داخل قيمها الاجتماعية المغلقة.

-شهدت الصحراء الجزائرية في العقود الأخيرة من القرن 19م، صراعا كبيرا لإلغاء العبودية، خاصة وأن عملية العتق لم تكن بالأمر الهين أو للتمتع بجرة قلم، لأن ظاهرة الرق امتدت عهدا طويلة وهونظام اجتماعي واقتصادي يقوم على طابع الإستغلال الفاحش (السخرة)، حيث أدى فيه الرقيق دور السلعة وتأدية العمل المنزلي والفلاحي وغيرها من المهن المرتبطة بهذه الشريحة الاجتماعية.

- كانت المحطة الزمنية الأخيرة للعبودية في الجنوب الجزائري في العقود الأخيرة من القرن 19م، وقد شهدت صراعا كبيرا لإلغاء العبودية، أدّت فيه العوامل الداخلية والخارجية دورها.

6.المراجع:

¹ - تجدر الإشارة أن المجتمعات الإنسانية، لم تكن العبودية فيها لصيقة بلون البشرة، بل كان هناك رقيق أبيض، وقد استمرت شعوب شمال إفريقيا في جلب الكثير من الرقيق من أوروبا، ولا ننفي أن الإنسان ذى البشرة السوداء كان أكثر عرضة للرق ووضع العبودية والنخاسة، وفي دراستي ركزت على العبيد السود (Esclaves Noires) المجلوبين مما كان يعرف ببلاد السودان.

² - عبد الإله بنمليح: ظاهرة الرق في الغرب الإسلامي، منشورات الزمن، الرباط 2002، ص 04.

³ - Valenci Lucette : *Esclaves chrétiens et esclaves noirs à Tunis au XVIIIe, Annales. Economies, sociétés, civilisations*, 22^e année, N. 6, Novembre Déc. 1967, p1274

⁴ نفيسة بلخضر: مدينة ورقلة ودروها في تجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر ميلادي، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة غرداية، السنة الجامعية 2015-2016، ص 96.

⁵ - سميرة دعاشي: الإهتمام الفرنسي بالتجارة في الصحراء الجزائرية وإفريقيا الغربية ما بين 1850-1945م، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة غرداية، 2014-2015، ص ص 18-23.

⁶ - Jean-Louis Miegé : Le commerce transsaharien au XIXe siècle, Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée Année 1981, pp, 32-99

⁷ A.Caunaille : *les Chaamba leur nomadisme*, Éditions du Centre national de la recherche scientifique, Paris 1968, p151.

⁸ - أحمد البوزيدي: التاريخ الاجتماعي لدرعة مطلع القرن 17 ومطلع القرن 20م، دراسة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال الوثائق المحلية، ط1، مطبعة أفاق، الدار البيضاء، المغرب 1994، ص ص 141-149.

⁹ - Charles Amat: *le M'zab et le Mozabites*, Chattemel et de éditeurs, Paris 1888, p 212.

¹⁰ - أحمد مزبان: فجيح مساهمة في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال القرن 19م (1845-1903م)، مطبعة فجر السعادة، وجدة -المغرب 1988، ص 269.

¹¹ - Henry-Duveryrier : *Coup d'œil sur le pays des beni-M'zab et sur celle des Chaamba occidentaux*, lettre a M, le president de la société de la géographie, 27 octobre, imp de la Martinet- Paris 1959, p 136.

¹² - قبائل الهوسا: تنتهي هذه القبائل إلى الأصل الزنجي، بنظر فيج جي دي: تاريخ غرب إفريقيا، تعريب: يوسف نصر، ط1، دار المعارف، القاهرة 1982، ص 31

¹³ - Eugène Dumas : *Le grand désert ou Itinéraire d'une caravane du Sahara au pays des Nègres, royaume de Haoussa*, Paris 1848, pp :12-24.

¹⁴ - les archives d'autre mer d'Aix en Provence France, Boite no : f 80, 1816, Esclavage

نقلا عن زروال جمعة: الرق في الجنوب الجزائري في بداية الإحتلال من خلال وثائق أرشيفية فرنسية، في *مجلة دراسات وأبحاث*، مع 06، رقم 16، ص ص 29-41.

¹⁵ - Loualich Fatiha. Les esclaves noirs à Alger (fin du XVIIIe-début du XIXe siècle) : de l'esclave à l'affranchi, vers une relation d'allégeance. In: Mélanges de l'École française de Rome. Moyen-Age, tome 115, n°1. 2003. pp. 513-522;

¹⁶ - ففي قصر متليلي تتداول الرواية الشفهية وجود قبة سيدي فلاح بن بركة، وهو ولي الوصفان أي الزنوج، ينظر: الشيخ لكجل: مقاومة منطقة متليلي الشعانية للإستعمار الفرنسي في الفترة ما بين 1851-1908 م، ط1، دار الصبي للطباعة والنشر والتوزيع، متليلي، الجزائر 2019، ص 97.

¹⁷ - R.Mauny; *Tableau géographique de l'ouest africain au moyenne age, d'après les sources écrites la tradition et l'archéologie*, Meni ifan, n: 61, Dakar, p 379.

¹⁸ - علي أحمد: ثورة الزنج، مكتبة الحياة، بيروت 1961، ص 75.

¹⁹ - التميمي عبد الجليل: "عتق العبيد وعددهم في منتصف القرن التاسع عشر بأيلة تونس"، في *المجلة التاريخية المغاربية*، عدد 39-40، تونس 1985، ص 590-596، ومقال "من أجل كتابة تاريخ الحياة الاجتماعية للأقلية الإفريقية السوداء بالبلاد التونسية، مصادر وآفاق" في *المجلة التاريخية المغاربية*، مجلد 14، عدد 45-46، جوان 1987، ص 37-48.

²⁰ - أبو القاسم سعد الله: *مجموع رحلات*، رحلة الحاج بن الدين الأغواط لشمال إفريقيا والسودان والدرعية، تحقيق وترجمة: أبو القاسم سعد الله، طبعة خاصة، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر 2011، ص 88 وص 94-95.

²¹ - محمد بوطالب: الأوضاع الاجتماعية للعبيد السود في النصف الثاني من القرن 19 م، ضمن مجموعة من الباحثين: تنسيق: الهادي التيمومي، المغيبيون في تاريخ تونس الاجتماعي، ط1، شركة أوريس للطباعة، تونس 1999، ص 375-407.

²² - نفس المرجع.

²³ - ناصر الدين سعيدوني: *ورقلة ومنطقتها في العهد العثماني*، في *مجلة الأصالة*، عدد خاص، السنة 06، جانفي 1977، ص 71-95.

²⁴ - نفسه، ص 84.

²⁵ - Emerit, Marcel: Les liaisons terrestres entre le Soudan et l'Afrique du Nord au XVIIIe et au debut du XIXe siècle, *Teavaux de l'institut de recherches sahariennes*, x1, 01, p. p: 29-47.

²⁶ - A.Coyne : *le M'zab*, adolphe jourdan librairie-editeur, Alger, 1879, p224.

²⁷ - أبو القاسم سعد الله: *مجموع رحلات*، مرجع سابق، ص 94-95.

²⁸ - أحمد بابا بن أحمد أبو العباس التنبكي: *معراج الصعود إلى نيل مجلوب السودان*، تحقيق وترجمة: فاطمة الحراق وجون هانويك، الرباط، منشورات الدراسات الإفريقية، 2000.

²⁹ - عز الدين جعفري: *أطلس العادات والتقاليد بمنطقة توات*، أطروحة دكتوراه في التاريخ اللامادي، جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان، السنة الجامعية 2017-2018 م، ص 147.

³⁰ - Adolphe Marcet : *Le Maroc: Voyage d'une mission française à la cour du sultan* (Paris: Plon, 188

³¹ - Jackson, James Grey : "Relation de l'Empire de Maroc. Description du Maroc, de la Côte Ouest Africaine et de Tombouctou, 1789-1805", Rabat (Maroc), Université Mohamed V, Institut des Études Africaines, 2005, p224.

³² - أكد لي شخصيا أن شاهد عيان، موثق به، قد روى عن أبيه كيف كان تجرى بيع العبيد في سوق غرداية ومتليلي في أواخر القرن 19 م.

³³ - Adolphe Marcet: *le Maroc, voyage d'une mission Française à la cour du Sultan*, Paris, Plon, 1885, p207-208.

³⁴ - صالح بوسليم: *إقليم توات ودوره في تجارة القوافل الصحراوية خلال القرنين 12-13 هـ/ 18-19 م*، ط1، مطبعة مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، الأغواط، الجزائر 2019، ص 207.

³⁵ - سميرة دعاشي: مرجع سابق، ص 57-62.

³⁶ - Charles Amat: *le M'zab et le Mozabites*, Chattamel et cle éditeurs, Paris 1888, p 260.

³⁷ - ibid.

³⁸ - OP-cit, p 260.

³⁹ - Henry-Duveryrier : OP-cit, p 136.

⁴⁰ - Henry-Duveryrier : *Coup d'œil sur le pays des beni-M'zab et sur celle des Chaamba occidentaux*, lettre a M, le president de la société de la géographie, 27 octobre, imp de la Martinet- Paris 1959, p 17.

⁴¹ - أحمد بن هطال التلمساني: *رحلة محمد الكبير (باي الغرب الجزائري) إلى الجنوب الجزائري*، ط1، مطبعة، القاهرة، 1969، ص 60.

Loualich Fatiha.OP-cit. pp. 513-522;-⁴²

⁴³ - روس.إ.دان: المجتمع والمقاومة في الجنوب الشرقي المغربي، ط1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 2006، ص48.

⁴⁴ - Roger Batte: **Traite et esclavage du passé au présent**, in espert, vol:317, no.8 -9, Aout /sep 2000), p 189.

⁴⁵ - Yacine Daddi Addoun: **l'abolition de l'esclavage en Algérie 1816-1871**, thèse de doctorat en philosophie, York university ,Toronto,Ontario, avril 2010,p10.

⁴⁶ - Raed Bader : **l'esclavage en Algerie apres le decret d'abolition 1848-1906**,DEA,Monde Africain, Arabe et Asiatique, option etude arabe, universite de Provence Aix,Marseille 01,1995-1996, p :30.

⁴⁷ - Ibid,126

August Baumier :**premier établissement des Israélites à Timbokto**,in Bulletin de la géographie,no.02. 1870.p 367. -⁴⁸